

أطوار الوحدة العربية

للأستاذ نسيب سعيد

إلى الوادى السميد ، إلى ضفاف النيل ، فصر المزنة هي البلد الأول الذى فكر فى الدولة العربية الكبرى ؛ وللقطر العربى قصب السبق فى بحث فكرة الوحدة العربية الأولى ، وخلق الوعى القومى . ولعزة محمد على الكبير الفضل الأول فى إيجاد الفكرة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون !

كان ذلك فى القرن الماضى يوم ظهر محمد على الكبير مؤسس البيت المالك المصرى فى وادى النيل ، وسى لتأسيس دولة عربية جديدة ، وفكر فى قلب الملكة المصرية إلى امبراطورية عربية إسلامية كبرى تستطيع الظهور بين الدول الأوروبية الحديثة . كذلك حارب الوهابيين فى الجزيرة ليعسط نفوذه على سائر بلاد العرب ، ويحقق حلمه الذهبى الجليل ، ثم استولى على بلاد الشام وأعاد إلى سورية الإخاء والرخاء والخيرات ، ومنع الجيش المصرى الباسل قبائل البدو من الاعتداء على القرى والمزارع ، ووضع حدًا للصراع الذى كان لا ينقطع بين الدروز والمسيحيين فى ديار الشام

فالنسبة التى نستطيع أن نقررها إذن ، هي أن محمد على الكبير عزيز مصر هو أول من فكر فى الوحدة العربية ، وأول من حلم بتأسيس دولة عربية جديدة مكان الرجل المريض أمين الدولة العثمانية ، تيميد إلى دنيا العرب ذكريات الأمويين والعباسيين والفاطميين ؛ ولكن الظروف السياسية القاهرة ، والعوامل الدولية المختلفة ، وقفت فى وجهه ، واضطرته إلى الانسحاب من سورية ، فاقصر حكمه بعد عام ١٨٤٠ على مصر وحدها كما حدث التاريخ ، وتبدد ذلك الحلم الذهبى الجليل فى مصر

كلمة إبراهيم باشا

وعلى كل حال فإننا لا نرى قبل القرن التاسع عشر ما يشير إلى قومية للعرب ، والتفات إلى دنيا العرب ، أو إلى أى فكرة عربية ؛ فقد كانت تلك القومية فى سبات عميق ، وفكرة العروبة كسراب خادع ، وأول من حاول إيقاظها وتأسيس دولة عربية مركزها القاهرة محمد على الكبير ، وقل كذلك ابنه إبراهيم باشا . ولئن كان المشروع لم يتم فإن النواة

[اغتبط قراء « الرسالة » — وما أكثرهم — للنبأ العظيم الذى أذاعته عليهم فى أعدادها الأخيرة من تخصيص بعض أعدادها لخدمة الوحدة العربية ، والقضية العربية ، وقد عرفت « الرسالة » بخدمة رسالة العروبة وفضلها الجزيل على الثقافة العربية ، مما جعل لها المقام الأول فى قلوب أبناء العرب فى سائر الأقطار ، وجعل صاحبها محباً إلى القلوب جميعها ، كرمياً على النفوس كلها . أدامه الله للعرب غزاً ، وللإسلام ذخراً ...]

القضية العربية

البحث عن « القضية العربية » طريف ، والحديث عن العروبة ذو شجون وبخاصة فى هذا العصر ، عصر القوميات . ونحن نريد اليوم فى حديثنا الأول أن نبحث للقراء فى تاريخ الفكرة العربية الحديثة ، ونستعرض لهم أدوار هذه الفكرة وأبطالها فى التاريخ المعاصر ، ثم ننتقل بهم بالحديث عن الخدمات الجللى التى قدبها العراق للوحدة العربية وعن أثره فى القضية العربية الكبرى ، وبخاصة عن الماهدة العربية الأولى التى عقدها العراق عام ١٩٣٦ مع الملكة العربية السعودية ؛ وقد كانت هذه الماهدة نواة الوحدة العربية ، ثم كيف سافر جميل بك المدفى رجل العراق من بغداد إلى صنعاء بطريق القاهرة فى شهر أغسطس سنة ١٩٣٧ ، وأشرك دولة اليمن السعيدة فى ماهدة الوحدة ، فأصبح الحلف العربى ثلاثياً بعد أن كان ثنائياً ، وترك الباب مفتوحاً لسائر الدول العربية للدخول فى هذه الوحدة ، والانضمام إلى هذه المجموعة العربية ، كما دخلها : العراق والحجاز واليمن

ملم محمد على الكبير

وإذا أردنا الحديث عن فكرة الوحدة العربية والبحث عن الدولة العربية الموحدة فى العصر الحديث ، فلا بد لنا من الانتقال

والواقع أنه لم يكن اغتباط العرب بالمهد الدستوري الجديد يقل عن اغتباط الترك ؛ فقد ملأوا الجو هتافاً وصياحاً في بغداد والشام وغيرها ، ونظم شعراؤهم القصائد ، وجبر كتابهم المقالات ، في التفتي بمزايا المهد الجديد ، وانضم رجالهم ومفكروهم من عراقيين وسوريين وحجازيين إلى الاتحاديين موالين ومؤيدين لاعتقادهم أن دولتهم ستجدد شبابها وتسترد مقامها ، وأن الأمة العربية ستنصف ، وكرامتها ستعان

- ولكن حينما بدرت بوادر الخلاف العنصري بين العرب والترك تحول الحال ، إذ ظهر أن الاتحاديين يسرون على سياسة قومية سداها ولحمتها تعزيز الجامعة الطورانية وتأييدها ، وأن الفكرة العربية قد عفا أثرها ؛ لذلك أقفرت أنديةهم وتفرق أنصارهم ، وضعف نفوذهم ، كما تحلى عنهم نواب البلاد العربية المؤمنون بالعروبة وأنشأوا كتلة مستقلة اتحدت مع النواب المعارضين للاتحاديين ؛ وختم هذا الدور بإعلان الحرب البلقانية في خريف عام ١٩١٢ ؛ وتألفت في خلال هذه الفترة جمعيات عربية عديدة كما قلنا ، في مصر ، وبغداد ، ودمشق ، وبيروت ، والآستانة ، لحل مشعل الفكرة العربية ، وتأدية رسالة العروبة ، وتعزيز شأن العرب ، وبعث الوعي القوي العربي ، فأثرت هذه الجمعيات أثراً بليغاً في تكوين « الرأي العام العربي » وإليها يرجع معظم الفضل في إنشائه وإعداده بالتعاون مع الصحافة العربية في مصر والعراق والشام والآستانة ؛ فقد ساعدت على تنمية الشعور القومي العربي وإيقاظه وبمنته ، كما ساعد الشعراء العرب بقصائدهم الحاسية والكتاب والخطباء بدررهم النثرية على خلق النهضة الوطنية العربية الجديدة

- وأهم تلك المنظمات العربية التي تأسست يومئذ هي : جمعية الإخاء العربي ، المنتدى الأدبي ، الجمعية العربية ، « الفتاة » ، الجمعية القحطانية ، العلم الأخضر ، حزب اللامركزية ، جمعية بيروت الإصلاحية ، جمعية المهد ، مؤتمر باريس العربي ، الجامعة العربية ، النادي الوطني في بغداد ، وجمعية البصرة الإصلاحية . وتحدثت اليوم عن هاتين الأخيرتين فقط لأنهما نشأتا في العراق وصلا فيه

قد وضعت في الأرض ، وترك للزمن إنباتها وإحيائها . وكيف كان الأمر فإننا لا نرى في الشرق العربي منذ أيام إبراهيم باشا المصري حتى أواخر القرن التاسع عشر حركة جديدة للانفصال عن السلطنة العثمانية والاستقلال بكيان عربي منظم سوى تلك الحركة المباركة التي انبثقت في وادي النيل السعيد ؛ لأنه ما من شك في أنه لم يكن لقطر عربي من الأسباب الممهدة لظهور فكرة قومية عربية ما كان لمصر في القرن التاسع عشر ؛ فهي أسبق البلاد العربية إلى إنشاء وحدة إدارية ذاتية ، وحكومة شرعية صحيحة ؛ بل هي أول تربة بعثت فيها الروح العربية الاستقلالية القدسية ، بل بروح العزة والكرامة والمجد كما يستدل عليه من سياسة إبراهيم باشا التي كانت ترمي إلى فصل بعض الأقطار العربية عن جسم الدولة العثمانية واستقلالها بها ، فقد صرح (البارون بوال كوت) بقوله : « ما أنا بتركي ، بل أنا ابن مصر . إن شمسها قد غيرت دى فجعلتنى عربياً حقاً ... »

وقد سارت مصر بعد ذلك بخطى ثابتة في ذلك السبيل فتأسست فيها عدة جمعيات عربية ، ومنظمات سياسية تعمل للعروبة وللوحدة الكبرى ؛ منها « الجمعية القحطانية » التي تأسست عام ١٩٠٩ ، « الجامعة العربية » التي أنشئت سنة ١٩١٠ ، و « حزب اللامركزية » الذي تأسس في عام ١٩١٢ . وكذلك يجب ألا ننسى « جمعية المهد » التي أنشأها في الآستانة عزيز علي المصري يوم ٢٨ أكتوبر سنة ١٩١٣ فقد خدمت القضية العربية كثيراً ، وستحدث مفصلاً عن فضل مصر على القضية العربية وعن أثرها في الوحدة العربية يوم تخصص « الرسالة » الكريمة الكلام عنها ولكل حادث حديث

المنظمات العربية

وكما تأسست في القاهرة جمعيات عربية تعمل للعروبة كذلك أنشئ في كل بقعة من عواصم العرب : في العراق ، والشام ، والحجاز ، واليمن ، وفي كل بلد من بلدانهم ناد يضم الصفوة المختارة من أبناء العروبة . وذلك على إثر إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٩ يوم تغير الحال غير الحال في البلاد العثمانية فأطلقت الألسنة من عقالها والأقلام من سجنها

الجمعيات العراقية

أما المؤسسة العربية الأولى في العراق فهي النادي الوطني في بغداد فقد أنشئ في الزوراء عام ١٩١٣ على أثر تأسيس حزب اللامركزية في مصر ليكون فرعاً له ، وكان رئيس هذا النادي مزاحم الباجه جي صاحب جريدة النهضة العراقية أول جريدة في العراق خدعت القضية العربية الكبرى . وانتسب إلى هذا النادي كثير من الشباب العراقي المثقف ، فشر المبادئ القومية العربية وعززها . وكان يستظل بظل الزعيم العراقي حينئذ السيد طالب النقيب رئيس جمعية البصرة الإصلاحية الذي نشطه لإصدار جريدة النهضة فكان يصدرها مزاحم نفسه ، فلما عطلها الاتحاديون الترك ولم يصدر منها سوى (١٢) عدداً وأمروا بالقبض على صاحبها فرّ إلى البصرة ودخل في حمي السيد طالب النقيب

والمؤسسة العربية الثانية في العراق هي جمعية البصرة الإصلاحية التي أنشأها السيد طالب في مدينة البصرة ، وقد كان يومئذ نائبها في مجلس النواب العثماني وأحد زعماء حزب الائتلاف ، فانضم إليها عدد كبير من رجال البصرة وشبابها الناهض ، كما انضم إليها أحرار العراق وزعماءه المخلصون ، فأصدرت جريدة النهضة في بغداد لتكون لسان حالها ولكنها لم تمش طويلاً كما قلنا . وحينما عقد مؤتمر باريس يوم الأربعاء في ١٨ يونيو عام ١٩١٣ في منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر أ برق إليه في تلك الساعة السيد طالب الزعيم العراقي مؤيداً ومشجعاً ، تخاف الترك العاقبة ، ولذلك انتدبوا أحد رجالهم وهو القائم مقام فريد بك وعينوه قائداً للبصرة ، وناطوا به مهمة اغتيال السيد طالب ؛ فجاء البصرة ومعه حاشية كبيرة فأسرع هذا وأرسل إليه من اغتاله . قرأى الترك أن من مصالحهم الجنوح إلى المسألة ، فاستألوا السيد طالب وأرسل إليه طلعت بك وزير الداخلية التركية يومئذ برقية مفرغة في قالب الجمالة ، فأذاع على الأثر البيان التالي : « أعلن بكال الفخر إلى عموم أهالي العراق (الولاية والمللقات) بأننا قد اتفقنا في أمر تشييتك المساعي وكأننا روح واحدة ، وجسد واحد ، لأجل رفع

شأن وشوكة حكومتنا السنية التي قدرت صداقتنا رسمياً ، ولم يبق خلاف بيننا بأى صورة كانت ، وقد زال ما كان من سوء التفاهم زوالاً قطعياً ، وصرنا كتلة واحدة نعمل على سعادة دولتنا العلية ، ونسعى في محافظة وحدتنا العثمانية بكل قوانا حتى لا يبقى منا فرد واحد ، وللبيان حررت الكيفية وأعلنت في ٧ ربيع الأول سنة ١٣٣٢ »

إلى هنا أكتفي اليوم بالبحث عن تطور « الفكرة العربية » وعن الجمعيات العراقية ، وسأحاول في حديثي المقبل تصوير رجال العراق الذين خدموا قضية العروبة ، وحلوا رسالة « الوحدة العربية » وخاصة أولئك الذين اشتركوا في الثورتين : ثورة العراق وثورة الحجاز ؛ وعملوا في الدولتين : دولة بغداد ودولة الشام ، مع أقوالهم والوثائق والمستندات التاريخية التي تؤيد ذلك ؛ فإلى اللقاء ...

(دمشق)

نصيب سعيد
الحساميسينما ستوديو مصر
حالياً

فوزي الجزايرلي — إحسان الجزايرلي
تحية كاريوكا

ونخبة كبيرة من أنبغ الممثلين والممثلات وأقدر المطربين والمطربات

في فيلم

الستات في خطر

إخراج إبراهيم عمارة

إنتاج ستوديو مصر

سجل تجاري ٢٩٧٣